سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (57)

ديوان

عبد الخالق بن محمد العروسي الشرقاوي

(ت 1113 هـ)

بسم الله الرحمان الرحيم

فلولا خطوب قد احلت بفكرنا فلا ناصر يرجى ولا كاشف الكرب

وأقضية الدهر الحسام ترادفت فكفت يد الطلاب صولة مرهب

وقلة إنصاف وكثرة مدعي وجحد وإنكار لجهل ومعجب

لكانت سيوف تنبري من أدلة تحيض يوم الهجا فهدد واضرب

بتحقيق برهان فلم يخش رده وبحث وتوضيح وكشف لغيهب

بايجاز ألفاظ وبسط عبارة وتنقيح أوزان القريض المهذب

ولاكن رجوت الله ان يدفع الذي أحل ويدني بغية المتطلب

وشهرة فضل الشرقي تغني عن الذي قصدت فلم نحتج لاثبات موجب

وكونه هو القطب والغوث الذي يدور عليه من بشرق ومغرب

فالأقطاب والأبدال منه تنورت والاوتاد والاخيار في حكم أشهب

سالت من المولى الكريم بفضله يبلغ لي قصدي وسؤلي ومأرب

ويمنحنا التوفيق واللطف دائما ويرزقنا أمنا وحسن مغيب

بجاه النبي المصطفى سيدي الورى وكل منيب للإله مقرب

عليه صلاة الله ثم سلامه وأصحابه والآل أهل التقرب

ظهرت معالم للقلوب تسترت أسرار غيب كشفها لبصيرتي

جلست السماوات العلى وشهدت ماتحت الثرا وكذا الوجود بنظرتي

لاحت لنا الاسرار بعد خفائها وبدت لنا أنوار ما بالجملة

سكنت له الصهباء قلبا هائما في عالم الملكوت بعد الوحشة

سلبت حجاه فلا الدواء بنافع وبدا الجمال الى القلوب فجنتي

وغدت بسلطان البها مملوكة تهدي بأوصاف الجمال ورفعتي

قوي الشهود عليها حتى انه لو كان ذاك الى الجبال لدكه

لي في المحبة رتبة مخصوصة تعلوا على أهل الهوى والصبابة

لم لا أصول وكلهم بمدامتي سكروا واعطوا وافرا من رتبتي

واذا مضى الجيلاني عبد القادر او شاذلي فاق فوق منصتي

فأنا المعد لدفع كل ملمة وأنا الوحيد بصولتي ومحبتي

ياقطب هذا الغرب والشرق الذي شرقت بكم أنواركم للناظر

ياغوث أقطاب الوجود بأسرهم وغياثهم في كل خطب ثائر

ياطود هذا العصر والكهف الذي أمنت به كل الورى من ضائر

ياشيخ أوتاد الانام وجرسهم ومحد أهل عوارف وسرائر

يابحر جود لانظير له ومن قد حاز كل فضائل ومفاخر

يامجلي الكربات بعد اياسهم وغياث أحوال الغريق الحائر

يامنقذا أهل المصائب منهم ياكاشف المعضلات عند تحاير

يامنبع الخير الجسيم ومعدن ال سر المصون وخارق كالباهر

لكم الكرائم تنتهي ولقد غدت من علمها كضروريات نواظر

وخصالكم شاعت بغرب مثل ما شاعت بشرق من أجل الظاهر

أنت الذي قد فقت كل مفضل ذي رتبة أو نسبة أو ماهر

أنت الامام لكل فرد فاضل منك استمدت أهل فكر نائر

أنت الذي قد حزت مجدا فائقا وجمعت فضل أوائل وأواخر

وسموت للشرق الرفيع فخرته وعلا علاكم فوق ذاك الزاهر

ياسيدي الشرقي ياس قد غدا قطب الوجود وغوث باد حاضر

جد للكئيب ... وأذقه من ذاك الشراب شراب أهل بصائر

وامنحه بالألطاف والتوفيق جد بصلاح دنياه وحسن الآخر

ياوارثا علم النبي محمد أنت الملاذ لخائف مستنصر

صلى عليه الله ماهب الصبا والآل والأصحاب خير أكابر

نوح بجار مجد طلعتك التي نارت بها ظلمات ليل مستر

وكذا الخليل دعا لنا اخمدت بردا غدت وسلاما بعد تسعر

موسى الكليم فلم يزل متوسلا بعظيم قدرك فاحتمى بمصدر

أيوب قد سال الشفاء لضره فأزيل عنه اذ دعى بالآخر

ودعاك يعقوب فاعطى سوله بك يوسف من جبه المتقعر

وبك المسيح أتى يشير امنيا بجلاله وعلو شأنه الأعطر

عليك بهم ما عشت ان كنت طالبا نجاة ففي مغناهم كنز الذخائر

بهم تنجلي الأحزان عند اشتدادها بهم يرتجي نيل المنا والمياسر

بهم تقبل الأفراح والضر قد شفي بهم تذهب الأسواء من قلب ضامر

بهم يحصل الأمان في الدهر للورى بهم ترتقي للفضل أولو البصائر

بهم يستضي من كان قلبه مظلما بهم يحسن حال الكئيب وقاصر

بهم تنزل الأمطار عند احتسابها بهم يقطف من كل روض زاهر

فلا خير إلا من رفيع جنابهم ولا لذة إلا لذة إلا اكتساب المآثر

فاق الأنام محمد المرتضى قطب الورى الشرقي أسنى العنصر

قد خص بالمجد الرفيع ورتبة مرفوعة فوق الثريا ومشتري

ورث الفضائل كابرا عن كابر طود الأنام ملاذ كل محير

حاز المحامد كلها ولقد غدا بحرا الى العطاش الضمر

غوث الوجود ومن عليه مداره وغياثه في كل خطب منكر

مجلي الكروب اذا تعاظم أمرها ومزيل كل مثقل متعسر

حامي الذمار وذي الكريمة دافع يد فاتك متعرض متغير

معطي الوفود عطاء من لايختشي فقرا ولاكن لاعطاء مقصر

قطب لابدال دوى وخيار ما اوتاد ما وزراء ذاك الأخير

تهدي به الاشياخ قبل وجوده لعلو شأن محمد الأكبر

قد أخبر المدار بالقطب الذي هو الخليفة بعده في الأعصر

والشيخ والده تقدم مخبرا في قصة مشهورة بالأعصر

وبه أبو عثمان قد أتى معلما بولادة الشيخ الهمام الأشهر

وكذا الامام المنتمي لرشيدة نجل ابن يوسف منقذ المتحير

فانظر لأخبار الائمة نسبة لم ذا البنا وبيان قصد المخبر

ماذاك الا ان هذا المرتضى سر له قد فاق كل منور

ولقد بدا فضل تقاصر دونه امس الفضائل والنهى والمفخر

قد فاق ذاك الفاضل بن الفاضل في حب خير الانبياء الأنور

صلى الله عليه مادام الورى وعلى صحابته وآل المنصر

ماذا أريد وأبتغي بعبارة في وصف شيخ ماجد بتواتر

هل يستفاد وبها ثبوت فضيلة مجهولة من فيض هذا الزاخر

أو شهرة مستورة عن عالم أو جاهل بعلو هذا الباهر

أو رتبة ترجى لتثبت صلاحه وسموه ورقي هذا الماهر

يكفيه شهرة ذكره وعلوه شرقا وغربا في القرى وحواضر

وثبوت ما قد صح عند أئمة من كونه قطب الزمان الزاهر

وظهور نفع صادر لذوي النهى وخوارقا برزت لكل مناظر

هل يطلب التعريف لمن صيته أضحى كنار فوق طي ظاهر

ان كان يحتاج الدليل فقد غدا يحتاجه ضوء النهار النائر

ومن الغباوة ان تقام براهن لضروريات في الحجا والناظر

لاكن اريد به ابتغاء جنابه ورضاه عني والمنار ذخائر

والله أسأل أن يبلغ قصدنا واللطف يمنحنا ونور سرائر

ياسيدا والجود منك سجية يهنيك طيب ذكره يهنيك

أدعوك دعوة من تيقرانه ينال مايرجوه اذ يدعوك

عودتني البر الجزيل ودا بكم أبدا تعوده الذي يرجوك

فلذاك لو فتشت قلبي لم تجد لك في الولاء المحض فيك شريك

هذا حديثي عن ضميري صادق وسل ضميرك انه ينسيك

لم لا نرجي منك ادراك المنا وأبوك في يوم الفخار أبوك

وإذا تحدث عن نداك محدث فالبحر عبدك لا أقول أخوك

جاءت محركة لهمتك التي ماخلتها محتاجة تحريكا

واذا مننت بما قصدت تكرما فلمثل ذلك دايما أرجوك

حاشاك تهمل مملوكا وترده وسواك من يهمل له مملوكا

يصول الامام الشرقي بالغرب والشرق على أولياء الله في كل منزل

هو القطب والغوث المقدم فيهم وجملتهم تحت اللواء المفضل

هو الكامل منه استمدت قلوبهم وساقيهم كأس المدام المسلسل

وأورثهم ذاك المدام صبابة ووجدا وشوقا واهتياجا ببلبل

وتفنى به تلك الندامى في حبها وترتاح من عبئ الفراق المثقل

أزالت به تلك الهواجس والسوى وما كان في تلك الخواطر من قبل

وتكسبهم انها شهودا وغيبة عن النفس والخلق وكل ممثل

يشاهد سرا من جمال تولهت برؤيته تلك القلوب وتسبل

وهامت بحبه أكابر واعتدت تكابد زفرة النوى بتململ

وهان عليها ما تلاقي في حبها ويعذب طعم المر منه لمسبل

فقل لذوي الشوق من أهل المحبة وكل ولي ذي انتساب وذي فضل

إذا افتخر الجيلاني شمس الأحبة وعظم قدر الشاذلي المبجل

أنا شمس أهل الغرب والشرق كلهم وقطبهم مني استمدت ذوو الفضل

فلي منزل في الحب والوجد فائق ومرتبتي فاقت على كل ذي وصل

وشاهدت مافوق السماوات كلها وعاينت ماتحت الثرى بتمقل

وشاهدت ذاك العرش واللوح والقلم وكوشف بالكرسي الذي لم يحول

ولي منزل في قاب قوسين لم يكن لكل ولي فاضل ومفضل

وسري غدا في حضرة القدس ساريا يشاهد محبوب القلوب له صل

فلم لا أصول يااناسا بسطوة على أولياء الله في كل محفل

انا ذاك الشرقي سراج ذوي النهى وقطب لاقطاب الوجود لما فضل

لذ بالكرام اذا أصابك هائل وفزعت من أمرهم مشغل

وأتم ركائب في المراسم شاكيا خطب الزمان وصولته لمعطل

وألزم ربوعا يهتدي بمنارها مصباحها في الغرب باد لشعل

واثبت نوائب صبر واوسر عدوا فض دموعا من جفون تكحل

واستعطف تلك المنازل انها تسلوا الخليل عن الخليل ومنزل

والثم ثراهم فهو مسك أذفر واستنشق عن عنبر أو قرنفل

واسغ بشرفة عربهم خصصا دهت ياذا الذي يشكوا مرارة حنظل

وتمنين ما شيت منهم واحتكم فالقوم هم أهل العطاء الأكمل

بالله بلغ ان وصلت تحية والقي عليهم مابقلبك وانزل

طودا وقل ياسيدي ذا غربة الف السهاد عن المنام بمعزل

والقلب في الاحشاء منه مضرم دايم الأنين بجرح بالمنصل

والعين تجري بالدموع صبابة والوجد يقلقني ولوني يذبل

والنفس تجنح للمعاهد واللقا والجسم مبدي مشية للموئل

فتن أحبة مهجتي وتباعدت فالصبر مذ فارقتم لايلدل

ياعاذلي كن عاذري ذاك الدوى انصحت لاكن للاصم الاغفل

فودادهم أعطيته من قبل ان يكن الورى بل في الزمان الاول

اسرفت في عذل الولوع بالهوى لو قمت تنصح اعصر الم تقبل

سكن الجوانح ودهم واحل في جسمي مسالك نفسه والمفصل

ألكفف ملامك عن كئيب هائم وانظر لحاله مولع ومكبل

فرأيت مالم ترايه وعلمت مالم تعلمه وشهدت مالم يجهل

وعرفت صدق أحبة ووفائهم وتواضعا وصفاء سرا كمل

وشهدت حلما وافرا عن باذئ ودوام صبر للأذى من عضيل

قوم كرام لايهان حماهم جيرانهم لاتختشي من معضل

لهم الكرايم تنتمي ولديهم سر نفيس لم يرجحيل

احفظ مدائح مفرد واحضر لها قلبا تفز بعناية وتجمل

مارست من وطر فلذ بحمد تحظى بكل غنيمة من ابطل

زير الخليقة لين متواضع جم الفضائل والفواضل أسهل

وتواضع وسمو قدر رزانة وحلاحل لامسمد وعفنجل

ونباهة ووفود حلم صانه ونزاهة عن كل فعل مردل

ورزانة وعفاف عن جاف له وفساح بيت للغريب المرمل

يغضي الجفون من الحياء سليقة يغضي له لو قاره وتبجل

حامي الدمار ولبث كل كتيمة كهف الكمات ومنقد لمقلل

قطب السماحة والمروءة والتقى والبر والمجد الرفيع الاطول

سعد الزمان وقطبه وغياثه وإمامه وملاذه لمؤمل

غوث الورى نجل ابن قاسم الذي ساد الرجال بهمة وتفضل

قل للبسيطة والسماوات العلا تعلوا بممشاه وروح مفضل

فلتادل الفخر الذي لم ينفصم بحمد بجلي هراج المقلل

والغرب بان فضله اذ ضمه متجدا متبسما بمهلل

والشرق حاز فضائلا من غربنا ولسائر الأقطار مجد مؤمل

فهو الذي يرشدك للكنز الذي ان نلته لم تفتقر في المسدل

هو للخلائق حرمة ومهابة يوم المضيق ونكبة لمزلزل

بدر السما شمس الضحى تسامات وتزخرفت شهب الثرا بالمخضل

بحر اذا ماجيته ألفيته عذبا يزيل عطاش قلب مغفل

اذا انتميت أو لم تر تلك المحاسن والسنا من أجمل

او لم تشد العيس واقصد نحوه رحلا وتحد بالركاب وترمل

في مهمه مغبرة ارجاؤه يشجي القلوب بوحشة وتململ

وتعرس في أرض قفر موحش وتلاق وعثاء النوى بتحمل

وتجاف وصل أحبة وديارهم وتعوض منه الرحيل لكمل

مازلت في طي الحشا متسترا ما راقبت عيناك أدنى خردل

بادر بعزم تغتنم بزيارة فتفوز بالكنز الذي لايفطل

واركب جوادا سابقا واعمد له وانح ديار أحبة بهوجل

لاتبخلن عنه فإن مقامه من زاره لايختشي أن يسأل

قل للمشاهد شخصه افرح فقد نلت المنا والربح عند الأفضل

ماشئت من نور يلوح لمبصر ان لاح تستحيي البدور تافل

وسنا له يضيء قلبا قاسيا متوحشا مضنى بجسم مهمل

وعصات رشد لو غدت كجلمد لان الاصم ولم برب الجندل

ارجاؤه يشتكي احساسه وتكاثرت أسقامه بتسلسل

يشفيه من أضراره في لحظة يغدوا خفيف الحمل غير مثقل

أنت المؤمل في الشدائد كلها ان باهرت وتعاظمت في محفل

أنت الذي جاريت أرباب العلا فتقاصرت لعلاكم لم توصل

أنت الذي أحييت رسما قد عفا وأقمت مجد أساسه المتأصل

وحميته عن كل فعل ناقص وذدت عنه شقائق المتقول

ومنعت صولة باغي متلصص ورددت كيد معاند متكمل

وفتحت مغلق بابه بعوارف وحللت عنه كل قيد مثقل

وأزلت ديجور الزمان الحالك بسنائك الباهي البديع المشمل

فلتهن يافرد الزمان الأوحد شمس الهداية للعمات الضلل

فلتهن بالمجد العميم الأقعد ولتهن بالذخر النفيس الأشمل

قل للمحاول ماله دع عنك ذا من قد أتى ماليس يدرك يملل

فالفضل ليس يناله متكلف بتصوم وتزهد وتنفل

ان رآى اذاك سبيله افكل من دام الوصول يعد بالمتوصل

سبقت لذاك عناية من مالك ماتاحه للمرء غير محول

سيف الكمي خلاف سيف رابع فعل الهزبر خلاف فعل الفرعل

ما لكحل في جفن الصحيح السالم كالكحل في جفن عليل احول

حاز المواهب كلها مجموعة من منهج ير الأنام معدل

حاز المواهب كلها مجموعة من منهج بين الأنام معدل

أعني طريقا للإمام المرتضى العارف الحرار ذاك الجحفل

ورث الجزولي محمد المنتمي نسبا الاشمخ ذروة وعلاعل

ورثوا الفضائل كلها من شاذل قطب الوجود وغوث كل مومل

وغدا يناول سيد لسيد والفرع وارث أصله المتحمل

نعم الرجال اولائك الاشياخ هم بهم الجليس عن الشفاء يحول

حتى أتى سر الحلا بجميعه لمحمد الشرقي الفياض الممتل

قد قام بعد أيمة في سنة شدوا لتلك مآزركم تحلل

الذايذ يرعى الشرائع شبهة الفاتحين لها بلفظ مسهل

السابقين ذوي المعالي رتبة المانعين عن الورى بتوكل

القانتين الصادقين لربهم الصابرين الخائفين تزلزل

الصائمين الحافظين حدوده الذاكرين لربهم في الليل

ياحبذا ذاك السبيل ونعم من قد حاز حظا من طريق الاعدل

يعزى الى ثاني الصحابة جده أعظم به من صاحب متقبل

أعني أبا حفص رفيق نسبنا المصطفى المجتبى من مرسل

صلى عليه الله ثم سلامه ماهب في الأغصان نسمة شمأل

وبقطبنا كملت معالم شاذل فالتذ بفرد ماله من ممثل

ياحصن من هو هائم وامان من هو خائف وملاذ كل منقل

وذخيرة لمومل ووسيلة لمعوص ووضيفة للخنشل

وغنيمة لمعسر وجبيرة لمكسر ومزادة لمرمل

امنحتني بنفائس فرجوت من ذاك العطاء بلوغ حظ يكمل

ليس العلوم ينالها متفكر بتدبر وتجهد وتوسل

ماهي الا منة يحظى بها من شاءه مولى المشيئة يوصل

لاكنه سبب فقز بتجهد وتفرد وتقرب وتنفل

ولتشركن كل العلوم وللكرا كن جافيا لاتسامي من الطول

فاضمن له درك العلوم مصاحبا تقوى الالاه ومسيرة المتبتل

فإذا مدت حجاه فليس بضام وإذا ضمنت له فليس حنظل

وامنن على العاني بعطفة مرشد يحيي بها أشطار قلب موجل

ياحلى وصل الذين تقدموا وهو المكب على اخذنا يامرسل

فتكاثرت أوزاره وتثقلت أحماله وترادفت للقصعل

وتراكمت ظلماته وتدعمست أسبابه وتعوصت عن منجل

أيصح من هذا الظلوم انابة طمعا بسعي صالح مسترسل

لاكنه حط الرحيل وراء من حاز العلا في حداثة وتكهل

فإذا منحت له الأمان فلم يخف من حاضر في هذه أو مقبل

مولاي سامح ذا قريض هازل نسج البرود مضاهيا للممتل

جاءتك بنت من حجا متحير تسعى الفكاك لداهش بجهول

جاءت بها من خامل عطفاته لجنابكم مسترحما للمدخل

عزبت ورق نسجها من كامل اذ شابها مدح الولي الأجمل

ان نلتها الاقبال فاح عبيرها وغدت لناشدها خلاص معسل

أو ضده خابت وخاف امالها حاشى الكريم يزود كفاتسئل

رحمى الاله لمستغيث مذنب وشفاعة الماحي لكل مجهل

هنيئا لعين قد رأت وجه احمد وفازت جهارا منه بالحس والرئيا

وقد أسعد الرحمان عبدا دعا له فأصحى سعيدا في الممات وفي المحيا

وبدل بعد البوس بالنور والهدى وبلغ مايهوى من الدين والدنيا

وفاز برؤيا المصطفى سيد الورى نبي حباه الله بالرتبة العليا

عليه صلاة الله ما طاف طائف بمكة بيت الله قصدا أتى سعيا

وصلى عليه الله ماسرت الصبا وماسر مشتا وبرء ياه واللقيا

صلاة شذاها عطر الكون جهرة فمن قاسها بالمسك يوما محا استحيا

بلغ الناس امكم لحوائج يرجوا قضاها من إمام فاضل

قد جاءكم ملوذا بحماكم متحققا ان تعطفوا في العاجل

حط الرحال لديكم ولأنتم قوم بهم عظمى النوائب تنجلي

لوح الصريخ إليكم مستنصرا فازيح عنه كل داء هائل

نجزت حوائج من أتاكم قاصدا ظفرت يداه بالرفيع الشامل

تعطي الوفود ولم يكن أحد أتى لندلكم فرددته عن هاطل

فخصالكم شرقا وغربا حيرت عقل الفهيم الحاذق المتكامل

وسمت على كل الاكابر جملة ثم فتعاظمت عن كامل

أنت الامام وقطبهم وغياثهم وجميعهم يرجون جود الفاضل

أنت الغياث لمن غدا متعطشا يرجوا الاغاثة من سهم شاغل

أنت الذي بك تتجلى كرب الورى وتريحهم من كل خطب عاطل

أنت الذي ترجى لدفع ملمة وتعاظمت عن عارف متفاضل

أنت الذي تقضي حوائج راغب ناداكم عند اشتداد النازل

أنت الذي جاءكم مستصرخا يعضد بأثر لتناضل

كم كربة اجليتها عن داهش متحير متوغل متماطل

كم من أسير آيس أنقذته وفككته من غله وتحامل

كم من فقير لاحق أغنيته ومنحته بذخائر وشمائل

لكم الخصائص تنتمي ولديكم تعطى الركائب بغية المتطاول

رد البضاعة أمرها متواثر عند الاواخر كلهم وأوائل

رفعت لكم من فاس ياطود النهى فرددتها بعد الاياس الحائل

ياسيدي الشرقي ياقطب الورى يامن غدا بدرا وشمس أفاضل

جد بالذي أملته ياسيدي عاداتكم ان تعطفوا للآمل

قد جيتكم بجاه النبي مستشفعا لمقامكم فأقضي حوائج سائل

صلى عليه الله مادام الورى وتحركت تلك الصبا بالمائل

لم يبق لي سر الولاية شاهدا أحتاجه لبيان فضل العارف

قد بان ما يكفي لكل مشاهد مستبصر لفضائل ومعارف

إن كان يحتاج الدليل فقد غدت شمس الورى تحتاج رد مخالف

فضل الامام محمد الشرقي قد فاق الجميع كل فضل سالف

أقول الصب طال مايبكي الهوى ودمع لهسيدي الذي بالجوانح

الى كم تقاسي الوجد والبدر طالع يزيل ظلام القلب كنز لمانح

وعطفته تحيي الرسوم التي أتت عليها السنون شهبة بجوانح

وتغدوا بزهر يانع ونواظر بعيد القتام الذغدا في الاباطح

وأضحت قلوب يعتريها شواعل تحول بأقطار لدى كل فاتح

وتنظر أين السير واتعقل حائر وتجري عيون فوق خد بسافح

وترجى ذوي السبق لدفع ملمة تصول لها صول السمهرد فاتح

تموج فيها الركبان في كل بلدة وتسعى بها أرباب تلك النواضح

تبث لهم شكوى النوائب والاسى فان عجزوا كنت الجواد تنافح

وتسرع ياليث الوغا لفكاك من أتاك يلوذ فازعا من قبائح

وتنهض ياسعد الزمان بصولة لفك الاسير الموثق بالصفائح

تشتت أحزانا وتكشف كربة وتنصر مظلوما وترحى لصالح

فأنت الملاذ للعليل وللورى اذا عمت الاهوال كل المسارح

فأنت المعد للخطوب وطود من قوى سجوده ورام كل المرابح

فأنت الذي تعطي وترقي بنظرة وتسغ كوس العارفين لناجح

فكم من عليل أم مصباح فظلكم فأمسى بضوء مرشد للمصالح

فأوليته ملكا وذخرا مؤبدا وأنزلته في مقعد الصدق واضح

أمولاي ياقطب الزمان ببابكم تحط الرحال لاسوالكم بجانح

أغوث الانام اليوم إني نزيلكم فترشد من أضحى غريقا لصالح

وتكفيه شر الدهر والمقبل الآتي ويغنم فضل الشرقي معطي المفاتح

توسلت بالمولى الكريم إليكم وبالمصطفى ملجأ الأنام وناصح

عليه صلاة الله ثم سلامه وأصحابه أولي النهى والنواصح

حدث بفضل محمد وبحقه عرف وعظم منصبا للممجد

واردد على من قد سلا شوقا به ذكر الحبيب شفاء قلب الأكمد

واجبر لصب قلبه متحيرا متوقدا لأشواق مضرم الكبد

ذا لوعة ماتبردو جمراتها ذا عبرة فوق الخدود وتردد

ولقد سرى يبري المفاصل حبه تحت الجوانح والحشا المتصهد

نأت ديار أحبتي ولقد غدا من بينهم سقم لجسم المبعد

ماذا عليهم لو آمنوا بعتقهم عبدا يلوذ بأحمد في مقصد

فهو المرجى للأنام اذا دعا داعي الاله لهول يوم الموعد

وهو الذي لولاه ماخلق الورى أبدا ولا شيء يرى في فرقد

وهو الذي رضاه في سورة الضحى أشفع تشفع للفتى المتوعد

ياعاشقين محمدا وقواله حقا تفوز بهديه والمقصد

إن رمتم إدراك ذاك فعند من علج السقيم شفاءه من زرد

العالم العلامة العدل الرضى عياض يهدي للطريق الأرشد

صحت روايته عن الحبر الذي قد حاز علما في حداثة أمره

الفاضل بن الفاضل الغيث الربا أعني أبا العباس ذاك المهتد

شهدت له بالفضل أهل زمانه ورقا للأعلا رتبة لم تبعد

حييت به الارضون بعد مماتها وغدت بروض يانع يتأود

ان المجالس كلها تسموا به بعلومه وبذكره تتصعد

فجزاه عنا الاهنا يوم اللقا خير الجنان منعما في مقعد

وليهننا ختم الشفا بوجوده بضريح قطب العارفين محمد

بدر الرجا غوث الربا بحر غيث الورى الشرقي مسقي الورد

ورث الولاية في الوجود بأسرها عن سيد عن عارف متعبد

يارب واجعل جمعنا في حزب من سمت السماء بذكره من موجد

سيد الانام محمد مامثله فوق البسيطة قد مشا من مفرد

صلى عليه الله ما هز الصبا غصن النقا وتحركت في ميد

لقد حاز فضل الله من أتى قاصدا ضريح الامام المرتضى سيدي الشرقي

ولاح عليه نوره ورشاده فلم يختش كيد الضلال ولا الحرق

ومد عليه ظله وغدا له منار الهدى يبدوا كما البدر في أفق

وأرخى عليه ذيل ستر مؤبد فلا نكبة تخشى ولاخوف من سحق

ونال به مايرتجي من مطالب وفاز بفضل الله من طيب الخلق

فقل لذوي الحاجات تقصد جنابه وتلتذ به عند الخطوب وفي الضيق

هنيئا لكم قد جيتم باب حاتم ظفرتم بما ترجون من قطبنا المرق

فما زال ترياقا لأهل الحوائج ومنقذ أهل الغرق في آخر الرمق

أتيتم الى طود الوفود ملاذ من دعا خائفا من صولة الدهر والخنق

وسرتم الى ركن المعالم والتقى دخلتم بحمد الله في أوضح الطرق

آويتم الى حصن منيع فكل من أتى نحوه قد فاز بالأمر من ضيق

منيع الجناب لايضام نزيلهم موف الزمام في الشدائد والبرق

عظيم المزايا لابتسام همامه كثير العطايا لايضاهي بذي خلق

فكم من أسير فك عنه قيوده وكم من صريخ قد نجا به من غرق

وكم من عليل قد شفا بعلاجه غدا بريا ما احتاج للضر من يرق

وكم من فقير قد أزال افتقاره وعوضه فضلا عريضا من الرزق

هو القطب لاقطب ... في الورى هو الغوث لا غوث يماثل ذا العبق

مكانته تعلوا على كل فاضل ورتبته خصت لدى مقعد صدق

هو البحر ان تقبل إليه فلا تجد ببابه بوابا ولا كلفة الغلق

إمام به تقضى حوائج راغب ينال به كل المطالب بالرفق

به ينجلي ديجور أهل النهاية ويمنحهم عذبا مصفا لمستسق

سقاهم من الصهبا كوسا عتيقة واضحوا نشاوى غائبين عن الخلق

تجاذبت الأقوام روح مدامه وفازوا به ماشابه كدر الحرق

هي الخمر الاكالخمر هام بحبها كرام ولم تجعل بقدر والازق

بها هام وجدا مالك وابن ادهم جنيد وشيخه السري ذوي عشق

وطاب لهم ذاك الشراب وحبذا شراب به تحيي النفوس من الرق

اذا ما الفتى أضحى يدير كؤسا تحلى بأوصاف الكمال وبالشوق

تجلت له الأسرار بعد خفائها وخص بتوفيق وحفظ من الزلق

وتهتز أرواح الجبال صبابة تحن الى بدء النشو وتسترق

ويفنى ولم يشعر بوصف فنايه ولا الغير مشهودا لدى عارف مسق

وتكسبه أنسا ووحشا وغيبة شهودا ووجد الشاربين بلا فرق

وسكرا وصحوا وانقباضا وبسطة ووجدا وفقدا واشتياق وأهل الذوق

فطوبى لمن قد حاز حظا من الشرقي إمام سراج السالكين بذي الافق

فلذ بجناب الشرقي إن كنت طالبا تنل خير ماترجوه من طاهر العرق

كرائمه أضحت تفوق ذوي النها فضائله شاعت في الغرب والشرق

ومن فضله ان كان وارث سره همام به تهوى الانام الى الحق

فكان الامام المعطي ركنا لراغب وملجأ ذوي الحاجات يعطي بلا نطق

به تنجلي أحزاننا وهمومنا به نبلغ المأمول في لحظة يسق

سما مجده فوق الثريا ونهجه منير مزيل للعماية والحمق

مقام له في الحب والوجد فائق تعاظم عن زيد وعمرو وذي مرق

بنجله ذي المقدار سيدي صالح سراج الهداة السالكين ذوي سبق

ننال المنام فيض جوده والهنا ونقطف ماشينا بروضه من منق

مزيل الظلام عن قلوب ذوي النهى غيات أسير كان بالغل في عنق

كريم السجايا ذو محاسن جمة كثير العطايا بالبشاشة والطلق

وحيد فلا فرد يماثله ولايدانيه ذو زهد كثير ولاعمق

تكلف قوم شأوه ومرامه فلم يبلغوا بعض الذي ليس في طوق

رقا رتبة للمنتهى وهو مبتدي ولم يتكلف سعي مجتهد مرق

لقد ساح قوم في القفار وانه يسبح بطرف في السماوات من فوق

بنجل الامام المعطي سيدي صالح أرجى المنا والفوز من وابل الودق

واني لعبد للكرام نبي المعطي بنفسي وعرضي دونهم مثل الرزق

فجدهم بحر الكمال محمد غياث الورى الشرقي ننجا من المحق

أيا كرماء العرب لازال فضلكم وبحركم يشفي به غصص الحلق

وياسادة ما للفقير سواهم فهم يرتجى كشف النوائب والبرق

بجود والحر أضحى عليلا ببابكم وامسى رهينا راجيا عصمة الخرق

بجاه النبي المصطفى سيد الورى وبالآل والاصحاب طرا أولي الحق

عليه الصلاة دائما والسلام ماغدى الريح يجري في الغصون وفي الورق

سقيا لأرض أنت فيها طود من أمسى غريبا قاصدا لنداكم

أنتم مناه يرتجي من جودكم جودوا له بكمال فضل مناكم

ياسادتي أنتم حمات للورى لاسيما لمن انتمى لثراكم

أنتم شموس للأنام لم تفل فضيا وكم يجلي الحمى وسناكم

لكم الركائب في الهامة تهتدي تجف المنام ليالها لعلاكم

حتى ترى ذاك الحما فتحط في ربع الكرام رحالها للقاكم

أنتم غناء من أتاكم من ماتعطوا بلا سول يرى لعطاكم

أمر رعل ربع الاحبة انهم قوم عزيز جارهم ومنادم

ياسيدي يامحمد المعطي عبدوافا غريقا بالذنوب أتاكم

أنزل به متأدبا وأكرم به يرجى لخطب منجرا لرجاكم

ورث الامام محمد الشرقي في سر له فع بدا من ماكم

مولاي جئت لبابكم مستعطفا عطفاتكم مستنجدا مغناكم

أممت بابكم غريبا محوجا متضيقا نرجوا بذاك رضاكم

لابدمن وافى الكرام من القرا فنزيلكم ضيف أتى لقراكم

متوسلا بالمصطفى وبصحبه وبآله والسالكين حماهم

وبغوثنا الشرقي وشيخكم الرضى مقتفي الطريقة للغريب ملايم

طوا عليه ماقالوا بارق وعلى صحابته سلام دائم

أنجل الكرام الصالحين بذا العصر وقطب الرحا للسالكين ذوي البر

وبدر أضا في أفقه فاستدت به بجول هدات المهتدي ذوي الخير

وطود الوفود الشامخ المقتدى به تشب لسار ناره ليلة الخصر

وتأتيه من كل النواحي ركائب توم الندا من كل مستخشن وعر

كريم السجايا فضله متواتر عظيم المزايا فوق ذروة منبر

محل الثنا أثني عليه بكل ما تطيق ولاتكسل فذاك غنا الفكر

ترى له في كل القلوب محبة ومنزلة عظمى لدى كل ذي قدر

طبيب بداء الناس يسري دسائسا لديها وماتخفي الخبيئة من شر

تصبر أخي عند الدواء لضره فاقبة الصبر تنجي من الأسر

الاقل لزوار الامام ومن له انتماء الى شمس العلا منتهى الفخر

هنيئا لقد حزتم قصب السبق على نهجكم فوق الثريا ومشتر

وحيتم الى بحر المعارف والتقر فطوبى لكم يازائرين حما الحبر

دخلتم لواحامي الدمار سراج من تبلد لايدري التوجه بالامر

نزلتم على آل المهلب كل من أتى نحوه لايختشي ضرر العسر

فقيركم يغنى ومحظوظكم يعلى أسيركم يفدى ومعلوبكم يبر

أتيتم الى كهف الامان فظله عليكم مديد لايخاف من الهجر

فبشرى لمن قد حاز صحبة صالح لقد فاز بالمجد الرفيع وبالذخر

فما فاته بالفضل من كان سابقا زمانا ولا بالسبق يفضل من يدر

هو الحصن ان عم الخلائق شاغل تحصن به عند الشدائد والضير

هو الغيث عند وقع الجدر بأرضنا به يحتمي الملهوف في البحر والبر

سراج من استهدى وكنز من استغنى فرأت من استسقى شفاء ذوي الضر

أخي أيها الانسان ان كنت غافلا تنبه وان كنت المباعد فاحضر

فقد لاح نهج الرشدين ظهوركم فكونوا من السباق تنجح في العمر

فلا تعجزوا عنه فتصبحوا مثل من غدا صاديا والماء بقربه يجر

فجد والمغناه اليسير واحمدوا علاه ظفرتم بالمنا والعطا الوفر

فمن امه للمعوصات انجلت له وهان عليه الصعب في السهل والوعر

ومن يشتكي ظلما وضيما وصولة فلم ينتصر ما دام مالاذ بالصدر

ومن يرم النهج القويم ولم يكن دليلا له قد ضل بالمهمة القفر

ومن يعتني بالظفر يعلق بديله فينفق من كنز عظيم ومن مجد

الى صالح الاحوال يقصد عايل معطل أسباب يلاحظ بالتبذر

إليه ذوو الحاجات شدت رحالها فما رجعت الا بنيل المنا الغر

ولم لا وهو نجل بحر الشريعة وبحر الحقيقة المدفق بالدر

يفضل الامام المعطي قد كان قد كان باديا بمغربنا مثل النهار لمبصر

إمام به نهج الجنيد وحزبه بدا بعد ما قد كاد يعف ويهجر

غياث به تجلى الكروب وتنقضي دوائج من يرجوا الفكاك من العسر

همام تجلى للعلوم مناها وقد سهل المولى العويص لذي السر

به يقتدي في ظلمة كل جاهل وسار بليل خائف متحير

هو المعطي قد حاز النوال من الشرقي وخص بسر منه اذكر من الدفر

إمام له في قاب قوسين رتبة تنزه عن زيد هناك وعن عمر

لوابل ودو الشرقي جاءت ركابهم ومن مجده تستقرا الركايا لزور

بشمس الهدى قطب الزمان وسعده واوحده تجلى الدواهي وتضمر

هو الغوث هو النيل وقت انعطافه يفيض على الزوار في السر والجهر

وجاء الامام الصالح الفاضل الذي تناهى فيه سر المشايخ في العصر

يجدد هذا الرسم بعد عفائه فاعظم به من مانح الخير بالبشر

فيارب متعنا بطول حياته وقيض علينا مجراه الشارح الصدر

أمولاي قد يممت بابكم الذي له الفضل في قدم الزمان بلا حصر

فجد لضعيف يرتجي منك وفدا قصير بقى خلف الطوال محقر

فيعظم أن يبقى بجنبك مضمي وأنت امام الوقت ياطيب النشر

أيا حاتما أشكوا إليك حوائجا فأبدلها باليسر العريض وبالعذر

فحاشاك ان يأتي لبابك راغب فيرجع محروم النوال بلا ظفر

فسوغ لي الفضل الذي أنت أهله فأنت لذي الحاجات اندى من البحر

وأهدي الى ذاك المحب تحية تهب بعرف المسك والعنبر الشحر

يا قطب هذا الغرب والشرق والذي شرفت به أنواركم للناظر

يا غوث أقطاب الوجود بأسرهم وغياثهم في كل خطب نائر

يا طود هذا العصر والكهف الذي أمنت والكهف الذي أمنت به كل الورى من ضائر

ياشيخ اوتاد الانام وحرصهم ومحد أهل عوارف وسرائر

يابحر جود نظير له ومن قد حاز كل فضائل ومفاخر

يامجلي الكربات بعد أيا سهم وغيات أحوال الغريق الحائر

يا منفدا أهل المصائب منهم ياكاشف المعضلات عند تحاير

يامنبع الخير الجسيم ومعذب السر المصون وخارق كالباهر

لكم الكرائم تنتمي ولقد غدت من علمها كضروريات نواظر

وخصالكم شاعت بغرب مثل ماشاعت بشرق من أجل الظاهر

أنت الذي قد فقت كل مفضل ذي رتبة أو نسبة أو ماهر

أنت الامام لكل فرد فاضل منك استمدت أهل فكر نائر

أنت الذي قد حزت مجدا فائقا وجمعت فضل أوائل وأواخر

وللموت للشرف الرفيع فجزته وعلا علاكم فوق ذاك الزاهر

ياسيدي الشرقي ياسر قد غدا قطب الوجود وغوث باد وحاضر

جد للكئيب ... وأذق من ذاك الشراب شراب أهل بصائر

وامنحه بالالطاف والتوفيق جدا بصلاح دنياه وحسن الآخر

يا وارثا علم النبي محمد أنت الملاذ لخائف متقاصر

صلى عليه الله ماهز الصبا والآل والاصحاب خير أكابر

أيخيب من قوي الرجاء في حاتم   ويضيع قصد مؤمل متكثر

كلا ولم تسمح له بكلامه   الا في جواب السائلين وعسكر

...

بك جبريل نال دخرامان والملائك رحبت للإمام

...

مازال آدم يرتجي بك توبة بك نالها وبجود فضل مبشر

...

يكفيه شهرة ذكره وعلومه شرقا وغربا في القرى وحواضر

وثبوت ما قد صح عند أئمة من كونه قطب الزمان الزاهر

وظهور نفع صادر لذوي النهى وخوارق برزت لكل مناظر

...

وإذا مضى الجيلي عبد القادر أو شاذلي فاق فوق منصتي

فأنا المعتد لدفع كل ملمة وأنا الوحيد بصولتي ومحبتي

...

قطب السماحة والمروءة والتقى والبر والمجد الرفيع الأطول

سعد الزمان وقطبه وغياثه وإمامه وملاذه لمؤمل

غوث الورى نجل ابن قاسم الذي ساد الرجال بهمة وتفضل

قل للبسيطة والسماوات العلا تعلو بمشاه وروح مفضل

فلتادلا الفخر الذي لم ينفصم بمحمد نجلي هراج المقلل

...

أمولاي ياقطب الزمان ببابكم تحط الرجال لاسواكم بمانح

أغوث الأنام اليوم اني نزيلكم فترشد من أضحى غريقا لصالح

...

هو القطب لا قطب يدانيه في الورى   هو الغوث لا غوث يماثل ذا العبق

مكانته تعلو على كل فاضل   ورتبته خصت لدى مقعد صدق

...

المصادر:

الحرقي في مناقب القطب محمد الشرقي: المكتبة الوطنية بالرباط: 319 ك

مصادر لم أقف عليها:

" الحرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي لعبد الخالق بن محمد بن أحمد العروسي- دراسة وتحقيق كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد المالك السعدي بتطوان.

يتيمة العقود الوسطى في مناقب محمد المعطى مخطوط قيد النشر

الادب الصوفي في الزاوية الشرقاوية الدكتور عبد المجيد البكاري